يمنح لمملكة هولندة الصحة والعافية وحسن السلامة بسبب ما هي عليه من اخلاص النية وحسن الطوية
في محبتها وخضوعها لذاتنا وارسلت لسدتنا العلية وشوكتنا القوية سفيرا من طرفها قاطعا البحر
الواسع من اجل ان تدفع لديواننا العالي خراجا معلوما فاسعفنا من عدالتنا في عقلنا طول مسافة البحر
ومشاقه واخطاره وعواصفه سمحنا لها قبولا ولسانا بالحضور في ديواننا الشامخ كل ثماني سنوات مرة
من اجل دفع هذا الخراج ومن ثم واجبا على كافة عموم العالم ان يكونوا على دراية تامة من محبتنا
الزائدة التي ليست تحت حصر ولا حد لهذه الامة الموجودة في اقصى جهات العالم

ثم انه بمقتضى تقرير قديم مقدم من لجنة من مجلس العوام البريطاني في شأن التقدم بأن البحار
من بريطانيا الكبرى الى الهند الشرقي ان السبب الكبير في وقوع الغيرة والخوف في قلوب الصينيين
من الامم الاوروباوية في وقت قربهم من طريق البحر نحو المملكة الصينية انه كان موجودا بنا تشايع
بينهم من ان امة من الامم البعيدة بيض الوجوه كاملي الملبوس على ابدانهم لابد انها في يوم من
الايام تفتح ارضهم وتتغلب على بلادهم فمن الامكان ان الروسيين ما كانوا مرعيين انهم امة
بعيدة من الامم البيض الوجوه الكاملة الملبوس بل امة من الامم البيض الوجوه المجاورة للمملكة
الصينية وما كان لها دخل في هذا البنا ومهما كان من هذه الرواية فان الروايات الاخيرة في
شأن المساعي والاجتهادات التي اجراها الفلمنكيون كانت نتايجها مخالفة بالكلية للمسلك
الذي سلك فيه الروسيون مع الجارة في التعدي على اغتصابهم الاراضي التي تحكموا عليها من
الصينيين ومن ثم ذكر المستر اوبر ما وقع من الفلمنكيين في مساعيهم الاخيرة فقال ان الفلمنكيين
فقدت حيلتهم وضعفت قوتهم ووهنوا بما حصل لهم من عدم النجاح في الديوان الصيني عند ان
خسارتهم طيوان في جزيرة فرموزة* الزمتهم على ارسال مبعوثين اخرين كان الاول منها في سنة ١٦٦١*
يوحنا وان كامپين وقسطنطين نوبل الى والي اقليم فوكين في سنة ١٦٦٢ بعد الميلاد
ولهذا السبب تقدم والي فوكين والقايد الصيني صفايح من الفضة منقوش عليها اسماؤهم
والقابهم بالحروف الصينية بالذهب الى هولاء المندوبين الفلمنكيين وكانت هذه الصفايح
في صفة تذاكر مرور في داخل المملكة الصينية ثم اعقب هولاء المندوبين سفارة جليلة الى
الامبراطور كنك-جي اوكنغي في سنة ١٦٦٤ وذلك انه صار انتخاب اللورد بطرس وان
هورن المستشار الخصوصي والرئيس المالي في الهند سفيرا وكانت حاشية مؤلفة من واحد
معتمد للسفارة وواحد وكيل ورئيس استقبال وكاتب يد ووكيل دائرة وستة من وجوه
الناس وواحد جراح وستة رجال للخفر وطبلخانة وواحد طباخ واذا مات هذا السفير
في طريق سفره كان نوبل هو الخليفة من بعده فكانت حالة استقبال هولاء السفراء
المهينة التي نظر بها وزراء الصينيين اليهم هي تقريبا عين الحالة التي سبق ذكرها مع الذين
كانوا قبلهم من السفراء وما كانوا على نجاح في طلب مرغوبهم وفي سنة ١٦٩٣ ارسل
ايزبراند ايدس سفيرا من ديوان القيصر الى باكين فقوبل مع غاية الاحتفال
في ديوان الامبراطور وما ادى هيئات الذلة والخضوع ورخص له بمقابلة الامبراطور في
الحال ودعي لتناول الطعام مع جلالة الامبراطور حتى ان الامبراطور المشار اليه ارسل من القشمش
والفرا ارسل للسفير من يده كاس شراب بسبب ان هذه كانت دلالة المعزة والمحبة عند التاتار
واهمهم وفي سنة ١٧١٢ ارسل سفير من طرف امبراطور الصين الى ا-يو-كي-خان خاقان
طورغوت التاتار على شواطئ نهر ولغا في شمال بحر الخزر فكان ارسال هذه الارسالية
من باكين عارضا مفيدا جدا في تاريخ المواصلات بين اوروبا واسيا الشرقية لانه من
البديهي ما كان يعبأ الافكار بامر الرئيس التاتاري في ولغا وكان يعني بهذه الارسالية
الى الرئيس الكبير التاتاري وهو القيصر نفسه وكان الامبراطور الصيني عرف من مخابراته
شهرة بطرس وكانت شهرته وصيته في هذا الوقت سارت بها الركبان ووصل منها الانزعاج
في كافة اقطار اوروبا واسيا فخاف الملك السماوي من ان هذه الارسالية ربما يحصل منها
تاثير وعواقب وخيمة عند القيصر في الحالة التي كان ساعيا فيها في الاشغال على كونه يجعله
خراجيا تحت يده فكانت الحجة في ارسال هولاء المبعوثين انه وصل واحد من طرف هذا
الرئيس وادى الاحترامات الى ابن الامبراطور وكان في زيارة الى لاسا المحل المقدس
في التبت ورأى انه من الضروري اعلان حمايته تحت حكومة باكين ثم ان رسل الامبراطور

الامبراطور تلقوا تعليمات بالكتابة وظهرت هذه التعليمات في سنة ١٨٢١ بواسطة اشتغال
ومعلومات السير جورج ستاونتون واستدل من الاوامر التي كانت مشتملة عليها ان الامبراطور
الصيني كان على وجل شديد وفرق من جهة التعدي الروسي وكانت رغبته الكبرى على القيصر في انه
لا فايدة في اي من العلاقات سياسية كانت او تجارية بين الدولتين وان تقول المبعوثون
للقيصر او لوزرائه ان جلالة الامبراطور ليس على ونافذة واعتبار تام من الاحوال المتباينة في
الرسم القديم بين الدولتين من مدة طويلة ومن اجل ذلك يلزم سحب العساكر الروسية المستوطنة
في الحدود حتى دون حصول ادنى تردد او مشاورة او وقوع ادنى ارتباك وكان من جملة التعليمات
اللازم على المبعوثين عرضها تعليمات اخرى عمومية وهي ان روسيا لو تكلفت معكم في ان عندها
اسلحة نارية وان هذه الاسلحة مساعدة لها في اجراء تنفيذ طلباتها فاشرحوا لها طول الطريق
ووعرة الجبال ووعورة القلاع والمعاقل التي تعبر منها وصعوبتها في اثناء المرور واذا وقع
منها الكبس عليكم في توصيل البنا طلباتها فيكون الجواب منكم انه من حيث ارسلت ارسالية الى خان
طورغوت التاتار فتتذكروا مع غاية المخاطرة على العرض لجلالته في طلباتكم وبما ان الروسيين
في تفاخر وابهة ليست تحت طايل فانهم لا ريب يظهرون امامكم كثيرا من الاشيا المستحوذ عليها
فلا تنورون لهم بقبول ولا بعجز ولا وهن وانه في كافة اعمالكم يلزمكم التؤدة والفكر والرزانة
والسكينة والوقار ومن اكبر الواجبات عليكم الالتفات ودقة النظر الى سكان الاراضي الروسية
وموضوعاتها الطبيعية والصناعية وهيئتها الجغرافية الظاهرية الطبيعية وشرح احوالها في مدة
سفركم واعرفوا الامبراطور لنفسه انه امبراطور الصين وملك عموم الدنيا ورعي بطرس في هيئة
ملك كبير او رئيس فاتضح من هذا ان جلالته السماوية كان قصده ومراده ان يجعل نفسه معروفا
ان زمام شوكة الدنيا وسيادتها مقصورة في قبضة يده ولما وصل المبعوثون الى طابولسكه
او طوبولسك قابلوا البرنس غاغارين وكان حاكم سيبيريا فاخبرهم ان القيصر في ميدان الحرب
في رأس جيشه واكرمهم الحاكم غاغارين وامراء التاتار الخراجيين اكراما زايدا وعملوا لهم احتفالا
وموكبا بالعساكر الروسية وربتوا لهم خفرا كبيرا تحت خدمتهم وفي سنة ١٧١٥ ارسل القيصر من طرفه
شخصا اسمه لورنس لنغ سفيرا الى ديوان باكين وكان استقباله في الديوان الصيني ما سبق له نظير
من الاحتفال والشرف وذلك لنغ رسالة ذكر فيها عموم الارتباطات والعلاقات التي كانت
جارية بين الصين وروسيا في ذلك العصر ودوام علاقات المحبة بين الدولتين ما سمح الصين
ان تكون هذه المودة موجودة بينها وبين امة اخرى من الامم فقال في رسالته ان التجار بالخصوص
الذين كانوا يتجرون مع الروسيين كانت على وجوههم دلالات كرم الامبراطور وسخاوته فانه عندما
لم يكن لهم طاقة على دفع الديون المطلوبة منهم في الاجل المحدد للدفع وكان الامبراطور يسعفهم
بسبب عدمهم على الدفع بنقود من خزينته حتى انه لا يقع من احد منهم ادنى شكوى او اقامة دعوى
عليهم وفي سنة ١٧١٧ وهن حال التجارة وضعف امرها في باكين ووقف الاخذ والعطا حتى ان
تجار الروسيين ما وجدوا مخرجا لبضايعهم وصدر امر من الامبراطور الى رعاياه بالرخصة في التجارة
والبيع والشرا معهم مع دون دفع العوايد والرسوم المعتادة وكان ذلك سببا في هذه السنة
في عجز عشرين الف اوقية من الفضة في خزينة الامبراطور ولما عاد لنغ الى الروسيا صحبه اثنان
من امراء الصينيين واثنان من امراء التاتار في هيئة سفراء الى القيصر الروسي وكان من طالع
بخت هذا الرجل الجليل انه زار باكين بعد رجعته بقليل في صفة كاتب يد سفارة اخرى جليلة
القدر في سنة ١٧١٩ وفي ٢٣ سبتمبر سنة ١٧٢٠ عندما دخلت هذه السفارة في الاراضي
الصينية صار اهلها من هذا التاريخ ضيوف الامبراطور وصارت كافة مصروفات السفارة على
طرف الامبراطور ومن الغريب اننا استحضرنا على حكاية هذه السفارة ونتايجها من تقرير رجل
انكليزي عرفنا منه في ذلك الوقت ما كانت عليه روسيا من شدة العزم في اخذ قدم سياسي
وتجاري في كل من اسيا الشرقية والغربية وتقوية سلطنتها ونفوذها بسرعة وجسارة تدبيرها
بحيث يجعل لها قوة كافية على تعديها وجورها على ارض غيرها واغتصابها واستحوذت روسيا مع
ان نشاط والعزم في هذا الشغل الى ان تفتح واستولى في مدة سلطنة القيصر بنفوذ وكان سببا
في قيام الامم بالسلاح على مطامع سنت بطرسبورغ وفي مدة المداولة التي حصلت في استقبال
هذه السفارة حصل الاتفاق في الديوان الصيني ان كل امة يجب استقبالها بالاحترامات اللازمة

Copyright © King Saud University